﴿سلسلة خطب الجمعة﴾

لفضيلة الشيخ

مصطفى العدوي

-حفظه الله-

الخطبة بعنوان

(قَابِلِ التَّوبِ شَدِيدِ العِقَابِ)

بتاريخ [١٥-٤-٢٠١٦]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الخطبة بعنوان: (قَابِلِ التَّوبِ شَدِيدِ العِقَابِ)

الخطبة الأولى:

اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، وقولك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حق، والساعة حق، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)﴾ [التغابن: ١]. بيده الخلق والأمر، إليه المنتهى في الأمور كلها، كما قال: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (٤٢)﴾ [النجم: ٤٢]. يعز ويذل، ويكرم ويهين، ويخفض ويرفع، ويضحك ويبكي، ويغني ويقني، ويبتلي ويعافي، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢١٢)﴾ [البقرة: ٢١٢]. فلا إله إلا الله ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦)﴾ [البروج: ١٦]. وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، أرسله الله بين يدي الساعة بالحق بشيرًا ونذيرًا ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦)﴾ [الأحزاب: ٤٦]. فبلغ الرسالة حق البلاغ، وأدى الأمانة حق الأداء، فجزاه الله عنا خير ما جازى نبيًا عن أمته ورسولًا عن دعوته ورسالته.

يقول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- آمرًا نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يبلغ العباد: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ (٥٠)﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠]. فأمران مقترنان أُمِر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بإبلاغهما للخلق ﴿نَبِّئْ عِبَادِي﴾. أخبر عبادي ﴿أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ (٥٠)﴾. حتى لا

ييأس شخص من الله ولا يستخف مستخف بأوامر الله، لا ييأس شخص من رحمة الله إذ الله يقول: ﴿إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الكَافِرُونَ (٨٧)﴾ [يوسف: ٨٧]. ويقول -سُبْحَانه-: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦)﴾ [الحجر: ٥٦]. وكذا لا يستخف مستخف بحدود الله ولا بأوامر الله، فنبئ العباد أيضًا أن عذاب الله هو العذاب الأليم، فكما أن الله غفر لشخصٍ قال: لا إله إلا الله، ووضِعت ورقته في صحيفة فطاشت بالسيئات، فكذلك «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ في هِرَّةٍ؛ حَبَسَتْها، لا هي أطْعَمَتْها ولا سَقَتْها، ولا هي تَرَكَتْها تَأْكُلُ مِن خَشاشِ الأرْضِ حتَّى ماتَتْ». وكما أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عفا عن أقوامٍ، عفا عن قاتل مئة النفس، فكذلك فإنه ابتلى يونس -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إذ ذهب مغاضبًا فأُلقي في بطن الحوت في سجن موحشٍ مظلم، فالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣]. وفي ذات الوقت فإنه ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾. اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم، فلا ينفكان أبدًا عن المسلم، لا ينفكان أبدًا، لا تبلغ به الأماني إلى أن ينتهك حرمات الله ولا إلى أن ينتهك حدود الله، وكذلك فإنه لا ييأس من رحمة الله، فباب التوبة مفتوح على الدوام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]. ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾ [النور: ٣١]. ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣)﴾ [هود: ٣].

وتتوالى النصوص الحاثة على التوبة والإنابة والرجوع إلى الله -سُبْحَانه-، يقول النبي الأمين -عَلَيْهِ أَفْضَلُ صَلَاةٍ وَأَتَمُّ تَسْلِيمَ-: «يا أيُّها النَّاسُ، تُوبُوا إلى اللهِ واستَغْفِروه؛ فإنِّي أَتوبُ في اليومِ مِائَةَ مَرَّةٍ». وهو سيد ولد آدم، وقد غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ويقول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «واللهِ إنِّي لأستغفرُ اللهَ في اليومِ سبعينَ مرَّةً». فهكذا لزمكم أن تتوبوا وأن ترجعوا عن كل جرمٍ ارتكبتموه، والله يفرح بذلك ويقبل التوبة من

التائبين، قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «لو كان لابنِ آدَمَ واديانِ مِن ذهَبٍ لابتغى إليهما ثالث وَلَا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إلَّا التُّرَابُ، ويتوبُ اللهُ على مَن تاب». فالبدار البدار بالتوبة من ظُلم العباد، إذا كنت ظلمت العباد فبادر برد المظالم إلى أهلها، إن كنت اغتبتهم، طعنت في أعراضهم، سفكت دماءهم، أكلت أموالهم فبادر بالتوبة إلى الله -سُبْحَانه-، إن أصبت المسلم في عرضه، أو في ماله، أو في دمه فبادر بالتوبة والرجوع إلى الله، وتحلل من المظالم قبل أن تقوم قيامتك، وقبل أن تأتي ساعتك، تب إلى الله وبادر برد المظالم إلى أهلها، فباب التوبة مفتوح قبل الممات، ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨)﴾ [النساء: ١٨].

أيُها الإخوة، قد يأتيك العذاب الشديد على الذنب وأنت لا تتوقع، قد يأتيك عقابٌ في مالك فتخسر مالك كله أو بعضه بسبب ذنوبك، قد تُبتلى في بدنك بمرض يُلم بك بسبب ذنوبك، قد تُبتلى في ولدك يتحول من ولد بار إلى ولد عاق -عِيَاذًا بِاللهِ- بسبب ذنوبك، قد تُبتلى زوجتك، قد يتسلط عليك عدوٌ غشوم ظالم بسبب ذنوبك، فالله الذي يسلط، يسلط قومًا على قومٍ ويكف أذى قوم عن قوم، قد تأتيك بلية من حيث لا تدري ولا تظن ولا تحتسب بسبب ذنوبك، فأنواع العقوبات تتنوع، قد تفقهها وقد لا تفقهها، قد تُفضَح بعد ستر، قد تُقطَع بعد وصل، قد تفتقر بعد غنىً، قد تمرض بعد عافية، يضيق صدرك بعد انشراحه، يذهب مالك بعد جمعه، فتوبوا إلى الله؛ فإن الله شديد العقاب.

إن التوبة إلى الله تكون من كل ذنب، من كل ذنب في حق نفسك مع ربك، خائنات الأعين، وما تخفيه الصدور، والحيود عن شرع رب العالمين، كل ذلك جالب للنكد، عليك أن تتوب منه وأن ترجع إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، طففت كيلًا أو ميزانًا، أكلت مالًا، أو اكتسبت حرامًا، لزامًا أن تتوب من ذلك قبل مماتك، فيما بينك وبين ربك استغفر الله، واعمل صالحًا، «وأتبِعِ السَّيِّئةَ الحسَنةَ تَمْحُهَا». وما يتعلق بالعباد يلزمك أن ترد

المظالم إلى أهلها، إن النبي قال: «يغْفِرُ الله للشَّهيدِ كُلَّ ذنب إلاَّ الدَّيْنَ». وقال: «لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إلى أهْلِها، حتَّى يُقادَ لِلشّاةِ الجَلْحاءِ، مِنَ الشَّاةِ القَرْناءِ». فنعم ربنا غفور رحيم، لا شك ولا ريب في ذلك، ولكنه أيضًا شديد العقاب ذو طول -سُبْحَانه- ﴿ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾. فلزامًا ألا تأمن مكر الله، إن الله قال: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩)﴾ [الأعراف: ٩٩].

وهذه العقوبات، وهذه المطالبات بالتوبة والإنابة كما أنها للأفراد فهي كذلك للجماعات والشعوب على السواء، فالأمم الحائدة عن شرع ربها -سُبْحَانه- المتمردة على أوامر الله وأوامر رسوله تُبتلى بتسليط عدو عليها فيقهرها ويذلها ويهينها، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩)﴾ [الطلاق: ٨-٩]. لقد قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١١٣)﴾ [النحل: ١١٢-١١٣]. فلسلامة البلاد وسلامة الأمم علينا أن نرجع إلى الله، إلى شرعه، إلى كتابه، إلى سنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

إن ربنا قال في مطالع سورة غافر: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ (٤)﴾ [غافر: ٣-٤]. لا يغررك تنقلهم آمنين مطمئنين في البلاد، ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥) وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٦)﴾ [غافر: ٥-٦]. فللمعاصي شؤم على الأفراد، وعلى الجماعات، وعلى الشعوب، تضطرب بعد استقرار، كذلك تفتقر بعد غنى، كذلك تقلق

بعد طمأنينة، يتسلط عليها عدو غشوم ظالم بعد أن كانت في مأمن من كل هذا.، فجدير بكل فرد، وبكل جماعة، وبكل أمة، وبكل شعب، وبكل دولة أن تنظر إلى موقفها مع الله، هل هي مستقيمة على أمره أم أنها معوجة؟

إن ربنا وفي سورة: (الحجر)، قال ما قد سمعتم: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩)﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ (٥٠) وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١)﴾ [الحجر: ٤٩-٥١]. أخبر عبادي بقصة ضيف إبراهيم ومن ثم قصة ضيف لوط -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، فكان الأضياف هم هم، هؤلاء هم أولئك ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (٥٢)﴾ [الحجر: ٥١-٥٢]. خائفين منكم لا نعرفكم ﴿قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (٥٣)﴾ [الحجر: ٥٣]. قال متعجبًا: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤)﴾ [الحجر: ٥٤]. علموه درسًا أن فرج الله قريب وأن النصر مع الصبر، علموه درسًا ألا ييأس ولا يقنط من رحمة الله ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: ٥٥]. هو يقول: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾. قد انتهى عمري أو كاد، شبابي قد انتهى ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي﴾. أي: بالغلام ﴿عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾. طيلة حياته أو أكثر حياته لم يُرزَق بالأولاد، فجاءت البشارة على الكبر ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾. لا تيأس أبدًا من رحمة الله، قلت وقد دعوت في زمن سالفٍ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠)﴾ [الصافات: ١٠٠]. لقد أُجيبت الدعوة بعد سنوات طويلة ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦)﴾. فلا نقنط أبدًا من رحمة الله، فلم يغلب عسر يسره أبدًا، لا نقنط أبدًا ما دمنا مستقيمين على شرع الله، لا نقنط أبدًا من رحمته ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)﴾ [الشرح: ٥-٦].

﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦)﴾. ثم سألهم سؤالًا بعد أن أكرمهم: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ

(٥٧) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩)﴾ [الحجر: ٥٧-٥٩]. تزامن زمان لوط -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مع زمن إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فكان في زمن واحد، وقد قال بعض العلماء: إن إبراهيم هو الذي أرسل لوطًا إلى سدوم ليبلغ رسالات الله لأهلها الذين ارتكبوا الموبقات وعلى ذُكرناهم ذُكرناهم وطُمِست فطرهم، فضلًا عن الشرك أتوا بالفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين، أرسله إبراهيم لدعوة أهلها بإذن ربه.

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (٦٠) فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٦٢)﴾ [الحجر: ٥٨-٦٢]. أنتم بالنسبة لنا غير معروفين، وكره مجيئهم لا لبخلٍ، فالأنبياء ليسوا بخلاء، الأنبياء كرماء، ولكن خشية عليه، خشية كذلك من ألا يؤدي حقهم من الضيافة والحماية والحفظ، فالضيف يُحفَظ، والضيف يُكرَم، والضيف يُدافَع عنه، ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾. وبعد ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ٧٨]. تسامعوا بضيوف لوط -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وأنهم مردة حسان في غاية من الجمال، قيل: أخبرتهم زوجته الخائنة بأضيافه ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾. وقف على باب بيته يتصدى للدفاع عن الأضياف الكرام، ويقدم ورودًا للقوم، تزوجوا بناتي تزوجوا بناتي ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾. يقولون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩)﴾ [هود: ٧٩]. ويا له من أدب في القرآن الكريم في تصوير الحدث دون خدش للحياء، ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾. وتمادى به الهم والحزن ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧)﴾ [هود: ٧٧]. ﴿سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾. فشلت محاولات إقناع القوم الظلمة الكفرة بالاستقامة على أمر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فشلت كل العروض، يخاطبهم: ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾. لا رجل رشيد، كل القوم استعرت شهوتهم -

وَالْعِيَاذُ بِاللهِ- ويريدون إمضاء الفاحشة، حينئذ وبعد البلاء الشديد وبعد أن قال لوط: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠)﴾ [هود: ٨٠]. تكلم الأضياف مطمئنين ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾. تكلموا قائلين: ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ [هود: ٨١]. أي: اطمئن يا لوط، إننا ملائكة من عند الله، لن يصلوا إليك، لن يستطيعوا إيذائك ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥)﴾ [الحجر: ٦٥]. هكذا وجهت الملائكة نداءها مطمئنة للوطٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، اطمأن النبي الكريم، لقد خرج أحد الملائكة ضرب المشاكسين طليعة القوم المفسدين الذين أتوا مسرعين قبل غيرهم، ضربهم بجناحه فأعماهم قبل أن ينزل العقاب على جملتهم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧)﴾ [القمر: ٣٧].

فطليعة الشر أعمى الله أبصارها بضربة من جناح ملك كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾. وبعد قالت الملائكة للوط -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾. امشِ خلفهم ﴿وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾. لا تبقوا على ديار، لا تبقوا على أحد، إلا امرأتك اتركوها مع الهالكين ﴿ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١)﴾ [هود: ٨١]. وهنا قال الملائكة للوط -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لما سيء بالأضياف وضاق بهم ذرعًا: لن يصلوا إليك -كما سمعتم-، وبعد خرج لوط -عَلَيْهِ السَّلَامُ- من البلاد مع أهله إلا امرأته، وبعد جاء وقت الشروق بعد أن سلم الله لوطًا وأبعده عن البلاد قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣)﴾ [الحجر: ٧٣]. عند شروق الشمس جاءت صيحة عظيمة هائلة مدمرة، ورُفِعت القرية بكاملها ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦)﴾ [الحشر: ٦]. اُقتلِعت القرية من الأرض ورُفِعت إلى السماء، وقُلِبت رأسًا على عقبٍ كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى (٥٣)﴾ [النجم: ٥٣]. ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ [التوبة: ٧٠]. فالمؤتفكات

بلاد قوم لوط، والمؤتفكة عاصمتها سدوم رُفِعت إلى السماء هي وما حولها من القرى الخبيثة الشريرة المتمردة على أمر الله، وقُلِبت رأسًا على عقب، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٢) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣)﴾ [هود: ٨٢-٨٣].

إخواني، إن الله -سُبْحَانه- ترك للظالمين آثارًا يُستدَل بها عليهم وعلى ما فعله الله بهم إذ قال: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ (٧٦)﴾ [الحجر: ٧٦]. بلادهم في طريقكم ترونها وكيف وأن البلاء حل بها كما قال تعالى: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (٤٥)﴾ [الحج: ٤٥]. أيُها الإخوة، لا تحاربوا ربكم، لا تعصوا أمره، لا تستهينوا بأمره، لا تستهينوا بأمر رسوله، إن الله قال في شأن أمر رسوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)﴾ [النور: ٦٣]. لا تستخفوا بأوامر رسول الله، وقروا أمر الله، وقروا أمر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

دافعوا عن دينكم، اثبتوا على دينكم قبل أن تأتيكم المنايا، واعلموا أن الله ناصركم بإذنه إذا أنتم استقمتم على شرعه، اعلموا أن الله رازقكم وإن ضاقت بالناس السُبل، ما دمت في طاعة الله -إِنْ شَاءَ الله- ستُرزَق، ولو كان الناس في هم ونكد وأنت لله طائع فستُحفَظ، الله سيتولاك وهو يتولى الصالحين.

عود على بدء ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾. استغفروه من سالف الذنوب، اطلبوا منه أن يغفرها لكم، وأن يسترها عليكم، وألا يؤاخذكم بها وارجعوا إلى كتابه، توبوا إليه، ارجعوا إلى كتابه، انظروا ماذا يريد منكم، ارجعوا إلى سنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تسلم لكم صحتكم، تسلم لكم أموالكم، تسلم لكم بيوتكم، يسلم لكم أهاليكم، تسلم لكم بلادكم، لا تحادوا الله ورسوله ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

(١٣)﴾ [الأنفال: ١٣]. لقد قال ربنا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١)﴾ [المجادلة: ٢٠-٢١].

أيُها الإخوة -بارك الله فيكم- قيموا الأحداث، قيموا الأشخاص، قيموا الأمم، قيموا الجماعات بناءًا على كتاب الله وعلى سنة رسول الله، لا تقيموها بآرائكم فأهواؤكم تضل وتضلكم، إنما انظروا إلى كل شخص إلى كل أمة ما مدى اقترابها من كتاب الله، ما مدى اقترابها من سنة رسول الله، لا تحركنكم عواطف ولا عواصف؛ إنما دائمًا عندنا كتاب الله المحق منا من وافق قوله قول الله، المبطل منا من خالف قوله قول الله، فدومًا قيموا الأشخاص بناء على كتاب الله، أية حادثة تنزل انظروا أمر الله فيها ماذا قال الله فيها، ما الذي يقربنا إلى الله فيها وأقبلوا عليه، لا تتركوا المجال لعقولكم تسرح بكم، إن الله قال: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١]. وقال: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١١٩].

أيها الإخوة، أي حدث يمر بكم اعرضوه على كتاب الله، اعرضوه على ما أمر الله فيه ما أمر رسوله فيه، والزموا أمر الله وأمر رسوله ﴿وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (٣٥)﴾ [محمد: ٣٥]. ما دمتم على هذا المنهج القويم منهج الرد إلى رب العالمين ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)﴾ [النساء: ٥٩]. وحيثما طابت لكم عبادة الله فاعبدوه ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦)﴾ [العنكبوت: ٥٦]. وبعد يواسي ربنا العابدين ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧)﴾ [العنكبوت: ٥٧].

﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠)﴾ [نوح: ١٠].

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد...

أيُها الإخوة -بارك الله فيكم- أنتم في الأشهر الحرم، تلك التي قال الله فيها: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]. وبينها رسولنا الكريم في سنته إذ قال: «إنَّ الزَّمانَ قد استدار كهيئتِه يومَ خَلَق اللهُ السَّمواتِ والأرضَ، السَّنةُ اثنا عَشَرَ شَهرًا، منها أربعةٌ حُرُمٌ، ثلاثٌ متواياتٌ: ذو القَعْدةِ، وذو الحِجَّةِ، والمحَرَّمُ، ورَجَبُ مُضَرَ الذي بين جُمادى وشَعبانَ». فهذا الشهر من الأشهر الحرم فلا تظلم فيها نفسك ولا تظلم غيرك، لا تظلم نفسك بارتكاب المعاصي، والآثام، والقيل والقال، والخوض في الأعراض، ولا تظلم غيرك كذلك، لا تظلم نفسك ولا تظلم غيرك، حافظ على دينك، حافظ على لسانك، حافظ على سمعك، حافظ على بصرك.

وكذلك فثم ثغر عظيم عليك أن تسده؛ ألا وهو ثغر الدفاع عن دينك، فذاك ثغر من أعظم الثغور وأرجاها ثواب عند الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ﴾ [التوبة: ١٩]. وصور الجهاد متعددة متنوعة: جهادٌ بالسنان وله محله وملابساته وفقه، وجهاد باللسان، وجهادٌ بالقلب، وجهاد بالمال، صوره متعددة فنافحوا عن دينكم أمام هذه الموجات الإعلامية الشرسة التي لا تبقي على أخضر ولا يابس ولا تبقي على عفاف ولا على فضيلة، فيخرج أناس أعمى الله بصائرهم يطالبون بنزع الحجاب، ويعقدون مؤتمرات لنزع الحجاب، قومٌ أراذل سفلة لا دين لهم ولا خلاق يعقدون مؤتمرات لا للحجاب، من الدليل على أن الله أعمى بصائرهم أنهم لم يقولوا: لا للتبرج، وربنا يقول: ﴿وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]. هذا كلام رب العالمين، ليس كلام أبي ولا أبيك إنما هو كلام رب العالمين ﴿وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾. فيخرج قوم يقولون: لا للحجاب، ورب العزة يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾

[الأحزاب: ٥٣]. فهؤلاء فيهم شعبةٌ من الأشرار الخوارج الذين يحاربون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، فيحاربون الفضيلة ويحاربون أمر الله، ويتركون المتبرجات السافرات السافلات على كل الشاشات، وعلى كل المستويات، وفي كل الجامعات لا يمسهم منهم أدنى أذى بل تُبارَك أعمالهم، متبرجات بكل صور التبرج وكما ترون «نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ مميلاتٌ، على رؤوسِهن مثلُ أسنمةِ البختِ المائلةِ». يدخلن الجامعات كما ترون ببناطيل ضيقة تجسد الجسم، لا تفعله النساء في غرفات النوم للأزواج إلا القليل، ويخرجن متبذلات غاية التبذل ولا يمسهن أحد بكلمة سوء ولا مكروه ولا بتذكير، ولكن يقوم أقوام شراذم يحاربون العفاف، يحاربون الفضيلة، يحاربون من ارتدت ثياب أم المؤمنين عائشة، يحاربون من ارتدت ثياب النسوة المؤمنات في زمن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، حقًا ﴿لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)﴾ [الحج: ٤٦].

صدق الله إذ قال: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥)﴾ [يونس: ٣٥]. أيُها الإخوة، أي الفريقين أحق بأن يتبع؟ أي الفريقين أولى بالأمن من يدعو إلى الفضيلة والعفاف أم من يدعو إلى التبرج والعري؟ إن عجوزًا شمطاء جمعت لها جموع إبليس التي قد كان جمع عجوز أفنت عمرها في حرب الله وحرب رسوله جمعت أمثالها من الذين أفنوا أعمارهم في حرب الله وحرب رسوله، واجتمعوا لمؤتمرات لمحاربة الفضيلة، لمحاربة العفاف، لمحاربة التستر، ومن ثم ينادون بالعري والتبرج محاددين الله ومحاددين رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

أيُها الإخوة -بارك الله فيكم- إنكم جميعًا أتباع لمحمد -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، والدعوة إلى الله ليست بدعوة إمام يخطب في المسجد فحسب ولا واعظ يعظ في مسجد فحسب، إنما هي مسؤولية أتباع محمد ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)﴾ [يوسف: ١٠٨]. لقد قال تعالى:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)﴾ [آل عمران: ١٠٤]. لقد قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. إن وسائل نشر الدعوة ووسائل الاتصال أصبحت ميسرة مبذولة للجميع، فبإمكانك أن تصدر مقولات خير للناس من على هاتفك أو على صفحات التواصل بعمومها، فانشروا كلام الله، انشروا قول الله تعالى: ﴿وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾. انشروا الفضيلة، والعفاف، والإيمان، والتوحيد، والنور، والهدى للناس تُثابون وتُحفَظ أممكم بذلك، لا تنشروا الرذائل، لا تساعدوا على الباطل، ليقوم كل منكم على الثغر الذي أُمِر بسده، والله قال: ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧)﴾ [محمد: ٧]. وقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

ختامًا أسأل الله أن يحفظنا وإياكم وبلادنا جميعًا بحفظه وبلاد المسلمين، اللهم احفظ هذه البلدة آمنة مطمئنة وسائر بلاد المسلمين، اللهم هب المسيئين منها للمحسنين، اللهم ألف بين قلوب أهل مصر على كتابك وعلى سنة رسولك، وألف بين قلوب المسلمين جميعًا على كتابك وعلى سنة رسولك -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، اللهم اصرف بأس أمة محمدٍ عن بعضها البعض يا رب العالمين، يا ربنا خذ بأيدينا ونواصينا إلى البر والتقوى، اللهم احقن دماء المسلمين، اللهم فك أسر المأسورين من المسلمين، اللهم أنجِ المستضعفين من المؤمنين، اللهم يا ربنا يا ولي الإسلام وأهله أدخلنا جميعًا برحمتك في عبادك الصالحين، وارحم موتانا وموتى المسلمين، اشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، اقضِ الدين عنا وعن المدينين.

أيُها الإخوة، إن صلاتكم وسلامكم يصل إلى نبيكم محمد فيرد عليكم مصليًا مسلمًا، فصلوا على البشير النذير وسلموا تسليمًا.

وأقم الصلاة.

****

- يمكنكم متابعة خطب ودروس الشيخ على الرابط التالي:

https:--www.youtube.com-channel-UCkL٢vNPCvXU١niLe٧KhKFXg

- رابط الخطبة:

https://www.youtube.com/watch?v=DMPCD٥BRR٠k&list=PL٩٢HwYx٣aJlvJO٣ewL٣GHuCxcMuOShRNy&index=٩٧

- رابط صفحة الشيخ مصطفى العدوي الرسمية على الفيس بوك:

https:--www.facebook.com-groups-١٢٥٨٠٢٠١١١٠١٩٠٦٧-?ref=share